الاستثمار السياحي في البلدان العربيّة من منظور إسلامي

بن قديدح سفيان

أستاذ مؤقّت بجامعة لونيسي علي "البليدة ٢"

طالب في السنة الثانية دكتوراه العلوم بجامعة الجزائر"٣"

على الرغم من الاهتمام الكبير بقطاع السياحة وثقافتها في العديد من دول العالم، إلَّا أنّ ثقافة الاستثمار السياحي في معظم البلدان العربيّة لا تبعث على التفاؤل، إذ لم ترق إلى المستوى المطلوب الذي يكفل الوصول إلى الأهداف المرجوَّة منها، إذا ما قورنت ببلدان العالم بصفة عامَّة، فحجم الاستثمارات التي خُصصِّت لهذا القطّاع، تعتبر ضعيفة مقارنةً بكبر مساحة البلدان العربيّة، وبتعدد المناطق السياحيّة فيها. كما أن المجهودات التي بُذلت لم تشهد استمراريّة، وزاد من اندثارها سنوات الحروب التي عانت ولازالت تُعاني منها بعض الدول العربيّة، والتي زادت من عزلتها على المستوى الدولي، وحتى وطنياً، إذ أنَّ المواطن العربي ونظراً لعدَّة ظروف وأسباب يبقى في أغلب الأحيان يُعاني من ضعف الوعي السياحي. حيث بدأ مؤخراً المواطن العربي يكتسب بعضًا من الثقافة السياحيّة، ولكن تبقى هذه الثقافة السياحيّة مُقتصرة على فئة معينة من المجتمع، دون غيرها من الفئات المحرومة والتي يتشكَّل أغلب المجتمع العربي منها.

ويبقى الإسلام الدّين الذي يتماشى مع كل الظروف والأزمنة، وهو الذي حث الناس على المشي في الأرض واكتشاف خلق الله لقوله تعالى: ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[1] (سورة القصص، الآية ٢٠)، فالسياحة في مفهوم الأمم السابقة كانت للتزهد في الدنيا، أو كانت لطلب العلم أو بغرض التجارة، فجاء الإسلام وأضفى على الثقافة السياحيّة طابعاً خاصاً وأحاطها بمجموعة من الأحكام الشرعيَّة، فمنها ما يكون واجبا كالسفر، ومنها ما هو محرَّم، كما قد تكون مكروهة أو مُباحة. لذلك يطرح التساؤل التالي: **كيف يكون الاستثمار السياحي في نظر الإسلام؟ وماهي ضوابطه؟**

للإجابة على هذا السؤال قُمنا بتقسيم هذه الدراسة إلى المحاور التالية:

- ثقافة الاستثمار السياحي في الدول العربيَّة؛
- نظرة الإسلام للسياحة ؛
- ضوابط الاستثمار السياحي في الإسلام.

[1] سورة القصص، الآية 20.

أولاً: ثقافة الاستثمار السياحي في البلدان العربيّة:

تلعب السياحة دوراً كبيراً في التنمية لدى البلدان العربيّة، إذ تعتبر قطاع إنتاجي يُتيح فرصاً كثيرةً لإقامة روابط اقتصادية مع عدّة قطّاعات أُخرى مثل قطّاع الخدمات وقطّاع الأشغال العموميّة، وبفضلها يتم تحسين ميزان المدفوعات والتنويع الاقتصادي، وهي فرصة لتشغيل الأيدي العاملة، وأسلوباً لتحقيق برامج التنمية، باعتبارها ثروة مُتجدِّدة قابلة للتوسع ومصدرا تنمويّاً آخر للبلدان التي تعتمد على الموارد الطبيعيّة. أمّا على الصعيد البيئي فهي تُعتبر عاملاً جاذباً للسيَّاح، وإشباع رغباتهم من حيث زيارة الأماكن الطبيعيّة المختلفة والتعرف على تضاريسها ومناخها. ومن منظور اجتماعي وثقافي فإن السياحة هي حركة ديناميكيّة ترتبط بالجوانب الثقافيّة والحضاريّة للإنسان، فهي رسالة حضاريّة وجسر للتواصل بين الثقافات ومُحصلة طبيعيّة لتطوّر المجتمعات السياحيَّة وارتفاع مستوى معيشة الفرد.

ولقد عُرِّفت التنمية بأنها عمليَّة تغيير في البنية الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة للمجتمع، وفق توجهات عامّة لتحقيق أهداف محددة، تسعى أساساً لرفع مستوى معيشة السكان في كافَّة الجوانب[1]، فهي العمليّات المقصودة التي تسعى إلى إحداث النمو بصورة سريعة في إطار خُطط مدروسة، وفي حدود فترة زمنيّة معيّنة. أما النّمو فهو يشير إلى التقدُّم التلقائي والطبيعي والعفوي دون تدخُل مُتعمَد من قِبل الفرد والمجتمع.

أما السياحة فقد عُرِّفت حسب المنظَّمة العالميَّة للسياحة بأنَّها: "مجموعة من الأنشطة التي يُمارسها الأشخاص أثناء السفر إلى أماكن تقع خارج البيئة المعتادة، لأغراض الترفيه، الأعمال أو لأسباب أخرى"[2]، ويُعرَّف السائح بأنَّه كل شخص يغادر مكان إقامته المألوفة إلى مكان آخر بهدف إشباع رغبة معيَّنة، خلال مُدَّة زمنيّة لا تتعدى اثني عشر شهراً مُتَّصلة دون أن تكون غايته البحث عن منصب عمل[3]، هذا السائح الذي يكون واعياً بالسياحة، أي أنّه مُثقَّف سياحياً.

كما تُعرَّف الثقافة السياحيّة بأنها امتلاك الفرد لقدر من المعارف والمعلومات والمفاهيم والمهارات والاتجاهات والقيم، التي تمثل في مجملها خلفيّة مناسبة لكي يسلك سلوكا سياحياً رشيداً نحو كل المشتملات والمظاهر السياحيّة، وكذلك العمليّات اللازمة للتخطيط والتنظيم والتعامل مع المؤسّسات والأماكن السياحيَّة والسيَّاح[4].

ويُطلق على الثقافة السياحيَّة مصطلح " الوعي السياحي"، والذي يُعتبر أحد العوامل المهمّة في رفع الوعي الاجتماعي والثقافي عند السكان، من خلال الزيارات والرحلات التي تؤدي إلى تنمية الوعي السياحي لدى أفراد

[1] أحمد رشيد، **التنمية المحليّة**، دار النهضة العربيّة، بيروت، لبنان، 1986م، ص 14.
[2] Jean-Pierre, **management de tourisme**, Pearson éducation, France, 2e édition, 2007, p 04.
[3] محيا زيتون، **السياحة ومستقبل مصر بين إمكانيّات التنمية ومخاطر الهدر**، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2002، ص 17.
[4] زهران هناء حامد، **الثقافة السياحيّة وبرامج تنميتها**، عالم الكتاب، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، 2004م، ص 24.

المجتمع، ممّا يجعلهم يتعرفون على قيمة ما يحيط بهم ويعملون على تقديمه في أفضل صورة لجذب السيّاح من مختلف دول العالم، بهدف جلب العملة الصعبة للبلد .

أمّا الاستثمار السياحي فيعدّ استثماراً مادياً مباشراً يتمثل في إقامة مُنشآت سياحيّة تتمثّل وظيفتها الأساسيّة في تقديم مُختلف الخدمات للسائحين بمقابل مادي في ظل القوانين الدوليّة والمحليّة،كما تعتبر لثقافة الاستثمار السياحي مصدراً مهماً من مصادر التغيير والتحول الطبقي بين أفراد المجتمعات السياحيّة، نظراً لأن بعض فئات المجتمع التي ترتبط أعمالهم بالسياحة سواء بشكل مباشر أو غير مباشر ؛ ينتقلون وبفعل الوعي السياحي من طبقة اجتماعيّة إلى طبقة أفضل لما يحققونه من مكاسب وأرباح من العمل السياحي، ويؤّدي ذلك إلى تعميق الانتماء والاعتزاز بالوطن، وبناء الشخصيّة الإنسانيَّة وتماسك المجتمع بما يُتيحه من أشكال التآلف والتعارف[1] .

وتؤّدي ثقافة الاستثمار السياحي إلى التطور الاجتماعي بين أفراد المجتمع في الدول المستقبلة للسائحين نتيجة الاحتكاك المباشر بين السائحين وبين أفراد المجتمع، سواء في أماكن الإقامة كالفنادق، أو في المطاعم والمحلات التجاريّة وأثناء التسوَّق، ويتطلب هذا وجود ثقافة سياحيَّة لدى المجتمع المستقبل، ويأخذ هذا التطوّر أشكال مختلفة مثل اكتساب أفراد المجتمع لعادات وقيم سليمة من السائحين كاحترام القوانين والنظام وآداب السلوك . وبصفة عامَّة الاحتكاك بثقافات وحضارات مختلفة تعزَّز التنمية الاجتماعيّة في المناطق المزدهرة سياحياً .

ولكن تبقى ثقافة الاستثمار السياحي في البلدان العربيَّة بعيدة عن المستوى المطلوب نظراً لعدَّة أسباب تتأثر بها، فأول هذه الأسباب هو التعليم الذي يفتقده جزء كبير من المجتمع العربي، وهو الأساس في اكتساب ثقافة سياحيّة . كما يُعتبر دور الإعلام جزء من التعليم السياحي، فالإعلام قادر على تسويق سياحة البلد في مادة إعلاميَّة تمس مختلف فئات المجتمع وبصيغ مختلفة (مرئي، مسموع، ومكتوب) . كما أنَّ المستوى الاجتماعي المتدني لفئة كبيرة من مواطني الدول العربيّة وضعف دخولهم يجعلهم يبحثون عن قوت يومهم وسد مختلف حاجيَّاتهم، ولا يفكرون في السياحة ولا حتى في النزهة داخل ولاياتهم . وكذلك عدم الاهتمام الكبير بقطَّاع السياحة في بعض الدول العربية واحتلاله مراتب مُتأخِّرة بين القطّاعات الأخرى، يؤثّر ذلك على اهتمام الأفراد به ولا يولون له أهميّة كبيرة لأنّه لا يشكِّل قطّاع أساسي في بلدانهم .

يُعتبر البلد السياحي الذي تغيب لدى أفراده ثقافة استثمار سياحيّة مصدرا لتحديّات كبيرة تؤثّر على مردوديّة السياحة في البلد، فالتصدِّي للممارسات التجاريّة التي تؤثر على المنافسة وتعيق تنمية قطّاع السياحة بزيادة تكاليف مزاولة الأعمال التجاريّة في البلد والإضرار بنوعيّة السلع والخدمات المحليَّة، وعدم وجود أسواق تنافسيّة يمكن أن يعرقل بقدر كبير تنمية الروابط مع قطّاع السياحة، ومن بينها احتكار قطّاع الاتصالات أو قطّاع الطَّاقة، يؤدي إلى ارتفاع الأسعار وعدم الانتظام في الخدمات وسوء النوعيّة، ويتسبّب انعدام المنافسة في قطّاع الخدمات

[1] نعيم الظاهر، سراب إلياس، **مبادئ السياحة**، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، عمان، الأردن، 2007م، ص 86.

الماليّة في ارتفاع المبالغ المقْترضة التي تزيد من تكلفة الاستثمار بالنسبة لمقدمي خدمات السياحة المحليّين، ويُؤدي عدم وجود قطّاع خطوط جويَّة فعَّال إلى زيادة رسوم الرحلات الجويَّة وتكاليف السفر الداخلي، وهو ما يؤثِّر على الإيرادات السياحيّة.

كما تدخل في الثقافة السياحيّة الحديثة المعالم الحضاريّة الحديثة، في صورة الإنجازات الحديثة للإنسان المعاصر، كالسدود العالية، حدائق الحيوانات، الأبراج والقرى السياحيّة[1]، وتتمثل أيضاً في الندوات والمؤتمرات التي تنعقد بها، وتدخل هذه المعالم ضمن عناصر الجذب السياحي العصري، وتلعب دوراً هاماً في زيادة الحركة السياحيَّة القادمة إليها.

ثانياً: نظرة الإسلام للسياحة:

مُنذ القدم كانت هُناك سياحة في الإسلام، لا نقول بأنَّها تأخذ الطابع العصري لكنها كانت لأغراض مُحدَّدة كالتجارة وطلب العلم، إذْ نجد مجموعةً من العلماء المسلمين قدْ سافروا لغير بلدانهم وخاصةً إلى مصر، العراق والشام، ليطلبوا العلم من علمائهم، وأصبحوا مُؤلفين للكتب في غير بلدانهم، فلَفظُ السياحة وردَ في القرآن الكريم بصيغة الأمر في قوله تعالى: ﴿ **فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ** ﴾[2] (سورة التوبة، الآية ٢)، فالخطاب في هذه الآية كان موجَّه للمشركين حيث خيَّرهم الرسول ﷺ في ذلك الوقت في أنْ يدخلوا في الإسلام، أو أنّ لهم أربعة أشهر يَسيحون في الأرض، فإمّا أنْ يُسلم الكافر فيها فَيَأْمَن، وإمّا أن يبقى على كفره فيحل قتاله بعد الأربعة أشهر، فيراد بالسياحة هنا الذهاب والتنقُّل إلى أي بلادٍ قريبةٍ أو بعيدةٍ، وبعدها يستعدّ للقتال، فلا دلالة فيها على السياحة التي هي التجول في الأرض للفرجة، وسفر النزهة، ومجرّد الخروج من البلد إلى بلدٍ آخر قريب أو بعيد، وإنَّما عبر بالسياحة ؛ لأنَّ المراد الذهاب في الأرض شرقاً أو غرباً، شمالاً أو جنوباً، قريباً أو بعيداً[3].

أمَّا لفظ " السائح " فقد ورد في القرآن الكريم لكنه فسّر بمعنى مختلف عن الذي نعرفه الآن، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[4] (سورة التوبة الآية ١١٢)، حيث فُسِّرت كلمة " **السَّائِحُونَ** " في هذه

[1] حجاب محمد منير، **الإعلام السياحي**، دار الفجر، القاهرة، مصر، 2002م، ص42.
[2] سورة التوبة، الآية 02.
[3] نقلاً عن الموقع الإلكتروني: http://www.almoslim.net/node/149240 (تم التأكد من الرابط إلى غاية يوم 19/12/2016).
[4] سورة التوبة، الآية 112.

الآية بالصائمين[1]، ولمْ تتضمَّن أي معنى للسفر والسياحة، إلاّ في أقوال بعض السلف الذين قالوا بأنَّ السائحون هم " المجاهدون أو الصائمون أو المهاجرون أو طلبة العلم" .

فالثقافة السياحيّة في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لم تكن للنزهة، بلْ كانت تتعلّق بما يلي :

الجهاد في سبيل الله: وهو إعلاء كلمة الله، حيث كان المسلمون في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، يحاربون كفار قريش، ومن والاهم من الكفار وينتقلون بذلك من مكانٍ إلى مكان، إذْ أنّ لكلِّ غزوة غزاها المسلمون ضد الكفار مكان خاص بها، كما كانوا يُجاهدون أنفسهم في الدعوة إلى الله في مختلف الأماكن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في شتى الأقطار؛

طلب العلم: لا شكَّ أنَّ الإسلام دين " اقرأ " ، وأوّل آية نزلت من القرآن حثّت على طلب العلم، حيث كان المسلمون قديما يطلبون العلم في مختلف أمصار الأرض، ولم يعجزهم في ذلك مشقّة السفر ولا الوضعيّة الاجتماعيّة التي لم تكُن محفزة، ولم يكُن طلب العلم الديني فقط (القرآن الكريم والسنة النبويّة الشريفة)، فقد ثبت عن زيد بن ثابت أنه قال: " أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ وَقَالَ إِنِّي وَاللهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي، قالَ فَمَا مَرّ بي نِصْفُ شَهْرٍ حَتّى تَعَلّمْتُهُ لَهُ"[2]؛

التِّجارة: كان معظم اقتصاد القبائل في عهد الرسول صلّى الله عليه وسلّم مبني على التجارة، فكانت هناك أسواق محليّة، كما كانت هناك أسواق يمكن أنْ نُطلق عليها في وقتنا الحاضر اسم " أسواق دوليّة " وكان من بينها " سوق الشام" الذي كانت تسافر إليه قريش في سياحة تجاريّة، وكان لهذا السوق شرف زيارة النبي صلّى الله عليه وسلّم له .

مُمارسة الشعائر الدينيّة: كان المسلمون في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُسافرون من المدينة إلى مكّة في سياحة يمكن أنْ نُطلق عليها اسم " السياحة الدينيّة "[3]، ولكنها في الأصل هي سفر لأداء فريضة الحج الركن الأخير من أركان الإسلام، ولكن المسلمين بفطرتهم يحبون الكعبة الشريفة ويتمنّون رؤيتها وكأنّها موقع أثري، فقد تشبّهوا بذلك بالسيّاح في عصرنا الحاضر الذين ينتقلون من مكانٍ إلى مكان بُغية رؤية بناء معين أو موقع أثري قديم .

يتبيّنّ لنا من خلال ذلك أن ثقافة السياحة في الإسلام وفي عهد رسول الله ﷺ لم تكن للنزهة وإضاعة الوقت، كما أنّه لا يوجد دليل على تحريم النزهة، بل كانت ثقافة السياحة نوعًا ما محصورة في أنواع محدّدة، ولتأدية غرض

---

[1] نقلاً عن الموقع الإلكتروني (تم التأكد من الرابط إلى غاية يوم 19/12/2016). http://library.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?idfrom=664&idto=664&bk_no=51&ID=656

[2] رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح، وسنده "حدّثنا علي بن حجر أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه زيد بن ثابت قال أمرني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنْ أتعلم له كلمات من كتاب يهود قال إني والله ما آمن يهود على كتابي قال فما مرّ بي نصف شهر حتّى تعلمته له قال فلمّا تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم ".

[3] ماهر عبد العزيز توفيق، **صناعة السياحة**، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1997م، ص 16.

مُحدّد وهو إرضاء الله سبحانه وتعالى، فالسياحة الحقيقيّة في الإسلام كانت السير في الأرض بغرض التدبُّر والتفكر في خلق الله، وهذان المعنيان يُقصد بهما:

التدبُّر في مصير الأمم السّابقة: حيث أمرنا الله بالتدبُّر في مصير الأمم السابقة الطاغية وكيف تم إهلاكهم، وهذا التدبُّر يكون بزيارة أماكنهم التي كانوا يقطنون فيها، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾[1] (سورة غافر، الآية ٨٢).

التدبُّر في بديع صنع الله: حيثُ أمر الله تعالى في التفكير فيما خلق سبحانه من بدائع في الإنسان وفي الأرض، وفي الكون بأسره، لقوله تعالى: ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[2] (سورة العنكبوت، الآية ٢٠).

ثالثًا: ضوابط الاستثمار السياحي في الإسلام

تُعتبر سياحة المسلم في بلاد الإسلام تقوية لروابط الأخوة الإيمانيّة بين المسلمين، ونفع بعضهم بعضًا، وفرصة للتواصل فيما بينهم والتعرف على ثقافاتهم، ولكن إذا ما توافرت فيها شروط وضوابط وفق ما ينص عليه الإسلام، خاصة وأنه في وقتنا الحاضر نُلاحظ وجود عدة ثقافات سياحيّة تعدّت السياحة في البلدان المسلمة، وشملت اختلاط الكفار بالمسلمين، فهؤلاء المسلمون يذهبون إلى بلاد الكفار، وأولئك الكفار يأتون إلى بلاد المسلمين، وهذه الحالة منتشرة بكثرة في عينة من الأسر العربيّة ميسورة الحال التي تذهب إلى أوربا ومختلف الدول الأجنبيّة. ولكن للإسلام رأي في هذه الثقافة السياحيّة، وله ضوابط تحكمها كما له ضوابط تحكم السياحة بصفة عامة، وله أحكام خاصّة ورخص يستفيد منها السائح أثناء سياحته.

الضوابط العامّة للاستثمار السياحي في الإسلام:

تشمل هذه الضوابط مُختلف الشروط التي يفرضها الإسلام على السائح، وبعض الرخص التي يستفيد منها كذلك.

– لا ثقافة استثمار سياحيّة في معصية الله:

تُعتبر طاعة الله سبحانه وتعالى واجبة على كل إنسان كرّمه الله تعالى بخلقه، فلا يُمكن لهذا الإنسان أن يعصي الله أثناء سياحته، ولا يُمكن له أن يكتسب ثقافة سياحيّة لا تليق بدينه، ولا تُرضي ربه، فلا يمكن للمسلم أن يذهب لمكان يعرف باستحلال الخمور، ولا لمكان تُستحلُّ فيه الفاحشة بين النساء والرجال. وللأسف وفي بلداننا العربيّة

[1] سورة غافر، الآية 82.
[2] سورة العنكبوت، الآية 20.

نجد هذه الثقافة السياحيّة مُنتشرة بين فئة من المجتمع غاب فيها الوازع الديني، وطغت عليها ثقافات سياحيّة غربيّة.

كما أنّ الإسلام ومن باب سد الذرائع، منع مجرد الذهاب إلى تلك الأماكن حتّى وإنْ لم يقم السائح بفعل أي شيء من ذلك، حتى لا يتأثّر السائح بما يرى، فالسائح لبعض الولايات في الدول العربيّة يرى في بعض شواطئها مشاهد تُنافي أحكام الدين الإسلامي، كالاختلاط بين النساء والرجال والمعاكسات والموسيقى الماجنة، ولعلَّ أبرز هذه المشاهد هو تبرُّج النساء والرجال على حد سواء، والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز:﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ...** ﴾[1] (سورة النور، الآية ٣٠، جزء من الآية ٣١)، فالإسلام عندما حرّم ذلك لم يحرّمه ليقيّد حياتنا، فالله يعلم لماذا حرَّم ذلك، حرَّمه لأجلنا نحن، حرّمه لينشأ مجتمع سليم غير مُتأثّر بمشاهد تؤثّر على سلوكيَّته، هذه السلوكيّات التي جعلها الغرب معياراً للتقدُّم، وقذفوا الإسلام لأجلها بالتخلُّف. فتبقى ثقافة السياحة الإسلاميّة مُتخلِّفة في نظرهم (وللأسف في نظر بعض المسلمين كذلك) لأنَّها تنبذ هذه التصرُّفات اللاّأخلاقيّة، ولكن الإسلام قبل ١٤٠٠ عام هو نفسه الإسلام في سنة ٢٠١٧م، فالإسلام يتأقلم مع كل العصور، ولا يعترف بثقافة سياحيّة تبيح الاختلاط، التبرج، والخمور.

- رُخص السائح في طاعة الله:

إذا اجتنب السائح معصية الله في سياحته، وكانت ثقافته السياحيّة تتماشى وضوابط الدين الإسلامي، كأن يكون في سياحة لطلب العلم، أو التجارة، أو غيرها من المباحات، سنّ له بذلك الإسلام أموراً تتمثَّل في:

رُخصة إفطار السائح في شهر رمضان

من سماحة الدين الإسلامي الحق أنْ شرّع للسائح طالب العلم، التاجر، المجاهد، طالب الاستشفاء وغيرهم من السيَّاح في المباحات الفطر من رمضان تجنباً للمشقّة، بدليل قوله تعالى:﴿ **أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** ﴾[2] (سورة البقرة، جزء من الآية ١٨٤). وتزداد سماحته حين يعترف علماء الإسلام أنّ رُخصة الفطر من رمضان لا تزول بظهور وسائل النقل والراحة الحديثة كالطائرات والقطارات.

[1] سورة النور، الآية 30، جزء من الآية 31.
[2] سورة البقرة، جزء من الآية 184.

رُخصة جمع أو قصر صلاة السائح

يستفيدُ السائح في الأمور المباحة من رُخصة جمع صلاة الظهر مع العصر، وجمع صلاة المغرب مع العِشاء، كما يستفيد من رُخصة قصر صلاة الظهر، العصر، والعشاء إلى ركعتين، وهذا وفقاً لأحكام وشروط مُفصَّلة عند علماء الإسلام يجب مُراعاتها. وهذا دليل على مُراعاة الإسلام لحالة السائح في طاعة الله، والتخفيف في هذه الأحكام كالفطر في شهر رمضان والقصر من الصلاة، رحمة من الله تعالى إليه يحب الله أنْ يُعمل بها. ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاَةِ..** ﴾[1] (سورة التوبة، جزء من الآية ١٠١).

رُخصة المسح على الخفين في وضوء السائح

أباح الإسلام للسّائح في طاعة الله المسح على الخفين عند وضوئه لمدّة ثلاثة أيّام، بدل غسل قدميه، مع شروط مُحدّدة عند علماء الإسلام، لقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ** ﴾[2] (سورة المائدة، جزء من الآية ٦). فقراءة كلمة " **أَرْجُلَكُمْ**" بكسر اللاّم تفيد المسح على الأرجل بحسب علماء التفسير.

ضوابط ثقافة الاستثمار السياحي بين المسلمين وغيرهم:

من مبادئ الثقافة السياحيّة أنها تبني نظرة مستقبليّة من أجل ثقافة سياحيّة أفضل للفرد[3]، هذه النظرة المستقبليَّة التي يجب أنْ لا تتنافى مع أحكام الإسلام، إذْ تُعتبر سياحة المسلمين فيما بينهم للتجارة أو طلب العلم أو غيرها من المباحات أمراً مقبولاً في نظر الإسلام، أمّا بالنسبة إلى سياحة المسلمين إلى بلاد الكفر، أو سياحة الكفار إلى بلاد المسلمين، لم يترك الإسلام ذلك للأهواء ؛ بل قيّده بضوابط وأحكام نعرض أهمّها فيما يلي:

سياحة المُسلمين في غير بلادهم

تذهب طائفة من المسلمين في وقتنا الحاضر إلى الدول الأجنبيّة المشركة للتنزه وقضاء أوقات الفراغ، ولا يوجد أحد من العلماء الأولين تكلّم عن السفر إلى بلاد الكفر للنزهة والمتعة، لأن هذا يتنافى مع عقيدة الإسلام " المسلمون أولياء بعض " ولأنَّ الله فصل المسلمين عن غيرهم. وعند السياحة إلى بلاد الكفر تتم مُخالطتهم، وتعظيم حضارتهم وإنجازاتهم، ممّا يُؤدِّي إلى إكبارهم والافتخار بهم ومدحهم، ومن ثمَّ تبدأ موالاتهم التي نهى عنها الله

[1] سورة التوبة، جزء من الآية 101.
[2] سورة المائدة، جزء من الآية 06.
[3] زهران هناء حامد، **الثقافة السياحيّة وبرامج تنميتها**، مرجع سبق ذكره، ص25.

تعالى في كتابه الكريم حيث قال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[1] (سورة المائدة، الآية ٥١).

أما السياحة لبلاد أجنبية بُغية التجارة أو العلاج أو الدراسة، فقد وضع عُلماء الإسلام ضوابط شرعيّة وشروط يجب الأخذ بها عند السياحة إليهم، ولعل أبرزها ما ذكرناه سابقاً أنَّه لا ثقافة سياحيّة في معصية الله، إضافة إلى عدم دخول كنائسهم، وغيرها من الأحكام التي تبقى محل خلاف لسنا أهلاً للخوض فيه.

سياحة غير المسلمين في بلاد المسلمين

إنّ السياحة أو ما يُعرف بالصناعة النظيفة[2]، قد تتمثل في زيارة كثير من غير المسلمين لبلاد المسلمين، وذلك للتجارة أو النزهة نظراً لتوفر بلدان عربيّة كثيرة على مواقع سياحيّة تستقطب السياح الأجانب، فإذا احترم هؤلاء غير المسلمين أنفسهم في لباسهم وثقافتهم والتزموا بمجموعة من الشروط، عند حلولهم بالبلدان الإسلاميّة، يمكن لهم السياحة في بلاد الإسلام. ولكن يجب الحذر من كونهم:

- ينشرون المسيحيّة أو أي ديانة أُخرى في بلاد المسلمين، وتقديم الإغراءات للشباب لأجل ذلك؛
- جواسيس يعملون لصالح بلدانهم، ويزرعون الفتن في أوساط المسلمين.

أمَّا بالنسبة لمكّة المكرَّمة، فهي مكان مقدس في ديننا الحنيف، ولقد ورد نهي عن دخول الكفَّار إليها لقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا . .** ﴾[3] (سورة التوبة، جزء من الآية ٢٨).

خاتمة

مما سبق يمكن القول بأنَّ الاستثمار السياحي في الدول العربيّة لمْ يواكب التطورات التي تحدث في مختلف دول العالم، ولمْ تعي مُعظم الدول العربيّة بعد أنَّ قطَّاع السياحة لوحده قادر على النهوض بالاقتصاد، خاصَّة مع الموارد السياحيَّة المتوفرة والتي تزخر بها البلدان العربيّة، لذلك وجب اليوم على الدول العربيَّة أنْ تستثمر في هاته الموارد، وأنْ تقوم بتثقيف مواطنيها سياحياً عبر كُل الوسائل المتاحة، وأنْ تُبينّ لهم مواقعها السياحيّة بالتفصيل، ومُختلف البُنى التحتيَّة المتعلقة بها، لكي يستعدّوا للاستثمار السياحي في داخل الوطن، لجذب أكبر عدد مُمكن من السياح.

ولكن هذا الاستثمار السياحي لا يُمكن أنْ يخرج عن الإطار الذي حددَّه الإسلام، فلا يُمكن أنْ تكون سياحة في معصية الله، ولا يمكن للدول العربيَّة أنْ تقبل بتوافد السيَّاح الأجانب عليها طمعاً في أموالهم وتتركهم ينشرون

[1] سورة المائدة، الآية 51.
[2] الرواضيّة زياد عيد، **السياحة البيئيّة: المفاهيم والأُسس والمقومات**، دار زمزم ناشرون، عمان، الأردن، 2013م، ص 70.
[3] سورة التوبة، جزء من الآية 28.

المسيحيّة، ولا يُمكن لها أنْ تتركهم ينشرون ثقافاتهم التي تتعارض مع الإِسلام في أوساط الشباب، فلا خير في استثمار سياحي يهلك المجتمع أخلاقياً ودينياً، ثم تصرف هذه الأموال التي جمعت من السياحة لإِصلاح المجتمع الذي أفسد من السياحة، فلا يُعقل هذا التناقض.

كما يجب علينا نحن مواطني الدول العربيّة باعتبارنا مُسلمين أنْ نستشعر مُراقبة الله لنا أثناء سياحتنا، وأنْ نبتعد عن كل أمر يتنافى مع الإِسلام، وأنْ نرفض الثقافات السياحيّة الآتية من الغرب، وحتَّى الثقافات السياحيّة الآتية من أجدادنا والتي تتنافى مع تعاليم الإِسلام، كزيارة القبور والتبرُّك بها والتي تنتشر في بعض البلدان الإِسلامية، والتي تُعتبر من الثقافات السياحيّة الدينيّة المرفوضة إسلاميّاً نظراً لكونها نوع من أنواع الشرك، فمن الجميل أن نكون متشبعين بثقافات سياحية عديدة ولكن لا نخرج عن إطار يسمى: "**ثقافة الاستثمار السياحي الإِسلامي**".